

## من بعض المقترضات العبرانية في العربية

المغربية ومن مسارات انتقالها

شمعون لقي \*

ترجمة: عبدالرحيم حيمد\*\*

تنتمي اللغتان العربية والعبرية إلى نفس الأسرة اللغوية السامية الغربية ضمن المجموعة الحامية- السامية؛ إذ هما لغتان متقاربتان جذورا ومورفولوجيا. فالتجاور الجغرافي، والانتماء إلى الفضاء الثقافي ذاته كانا سببا خلف التأثيرات المتبادلة والاقتراضات بين اللغتين. لقد تلقت العربية الكلاسيكية، زمن ما قبل الإسلام، من العبرية اصطلاحات الحقل الديني. ونهلت العبرية السابحة في فلك الثقافة العربية الإسلامية، المهيمنة خلال العصر الوسيط، من اللغة المتداولة، عن طريق الترجمات واقتراض الألفاظ والجذور العربية منتحية بذلك سمت التعبير عن الوقائع والمفاهيم، التي كانت عبرية التوراة خلوا منها، بغاية الاستجابة للحاجيات المستجدة لدى الأدباء والرّبيين والشعراء والفلاسفة.

واقترضت العبرية الحديثة، لاحقا، من العربية، حين انكب إليعازار بن يهودا على إنجاز معجمه العبري الموجه للاستعمال في القرن العشرين. ويتصل موضوع بحثنا بالعربية المغربية التي لم تتلق، نسبيا، أي تأثير مباشر من العبرية؛ بيد أنها تبنت وكيفت، في مدد زمنية متفاوتة، وبحسب اللهجات، مواد عبرانية هي اليوم قيد الاستعمال. بمتغيرات مختلفة في اليهودية العربية الدارجة. ومن نافل القول، دون شك، التذكير بأن العبرية، وإن ظلت لدى اليهود المغاربة لغة طقوسية، تُوظف في الدرس والتعلم والثقافة العالمية، فإن لغات الكلام لديهم بقيت هي العربية في المناطق العربية اللسان، والأمازيغية في المناطق البربرية اللسان، إلى جانب وجود فضاء ازدواج اللغة (ميدلت، ودمنات، وإفران، والأطلس الصغير، ونهالة دي امّلى) حيث ظلت العربية لغة معتمدة، وبقيت الأمازيغية لغة تواصل.

وبوصول اللاجئتين الإسباني اللسان عام 1492م. انبثقت فضاءات ازدواج لغوي أخرى في مدن استقبال هؤلاء الوافدين. وهي فضاءات أخذت في التراجع لصالح العربية؛ لتنحصر، في القرن العشرين،

في مدن طنجة، وتطوان، وأصيلا، والعرائش، والقصر الكبير، حيث أضحت العربية - الإسبانية، إثر تماسها واحتكاكها بالعربية، تعرف بـ"الحاكية".

لُذِّكِرَ في الأخير، باستعمال يهود فاس وسجلماسة وسبتة للعربية الكلاسيكية ما بين القرن التاسع والقرن الرابع عشر للميلاد، واعتمادهم في كتابتها الرسم العبراني. وقد خلف لنا هؤلاء أعمالا للسانيين مشهورين، من مثل حيوج، وابن جناح، وابن قريش، والفاسي، أو لفلاسفة من مثل ابن عقنين، وموسى ابن ميمون، ويهودا بن نسيم. أما في القرون اللاحقة، فقد تضاءل تمكُّن طوائف هاته الفضاءات من العربية. وظلت اليهودية العربية المكتوبة بحروف عبرانية (نص قلام)، منذئذ إلى القرن الحالي، توظف في الآداب وكنائش الحساب، وكذا في السرد التاريخي، والأشعار الشعبية، وفي ترجمات النصوص المقدسة؛ في حين اعتُمدت العربية في الشعر الديني ومجالات التولوجيا والقبال.

### I - موقع المقترض العبراني في اللهجات العربية لليهود المغاربة:

تشكلت اللهجات العربية ليهود المغرب، في حواضر مثل فاس وسجلماسة وصفرو، باعتبارها تنوعات لهجية لعربية حواضر ما قبل انتشار بني هلال. وعلى أساس من الخصوصية الطائفية المتعلقة بالحقول الدينية والشرعية والثقافية والتعليمية لجأت [الجماعات] اليهودية إلى اقتراضات عبرانية مكيفة وطبيعة الأصواتية والمورفولوجيا [في اللهجات اليهودية العربية المغربية]. ويبلغ عدد هاته المقترضات العبرانية المصنفة معجميا حوالي خمسمائة. وهي تخضع لتغيرات تختلف بين مدينة - أو جهة - وأخرى. بيد أن الاختلافات الأكثر ورودا، والأشد بروزا هي التي تلاحظ على المستوى السوسيو- لساني بين كلام نساء وكلام رجال ذوي مستوى ثقافي متوسط وكلام مثقفين. وهي اختلافات يلمس فيها لدى الأخيرين - بحسب كفايتهم - توجهها لإدراج عبارات واستعمال استشهدات عبرانية أخرى غير مصنفة معجميا. وواضح أن الفرق الأكبر هو الذي يفصل بين الاستعمال النسائي ونظيره لدى المتأدين. وليس مرد ذلك وجود عائق يحول دون تحقق التواصل، بل بسبب بعض الإحجام لدى النساء، وبسبب احترام المقامات، وخشية الاتهام بالتحذلق. يمكننا حصر هذه المقترضات العبرانية في اللهجات اليهودية لفاس وتافياللت بحسب المستويات السوسولوجية وفق ما يلي<sup>2</sup>:

مقفون	رجال ذوو مستوى [ثقافي] متوسط	نساء	
500 مقترض عبراني	320	220	فاس
500 مقترض عبراني	330	260	تافياللت

أما بالنسبة للحقول الدلالية التي تتوزع عليها هذه المقترضات، فيمكن تصنيفها كالتالي:

- دين وطقوس.
- حياة شرعية (بما فيها قانون التجارة)، ومفاهيم متعلقة بالأخلاق (فضائل ونقائص إنسانية، تجريدات .
- حياة اجتماعية وطاقفية.
- صفات عدة، وأفعال، وظروف، وموصلات، وصيغ سباب، وعبارات تبريك ولعنات.
- ويجد مجموع هذه المقترضات أصوله في النص المقدس، وفي الألفاظ المتداولة في مدرسة التعليم الأولي (صلاً)، وفي التعليم العالي (الباشيفا، ليسيبا)، وفي البيعة، وفي المجادلات التلمودية والشروح الفقهية (ترجمات عربية للنصوص الدينية)<sup>3</sup>.

## II - مقترضات عبرانية قيد الاستعمال بين المسلمين:

استطاع اليهود بفضل مساهمتهم في التجارة الداخلية، وكذا في تجارة الموانئ لعب دور في إدخال مقترضات لغوية أجنبية، إسبانية على وجه الخصوص؛ إذ عبرت ألفاظ مرتبطة بأشياء محددة إلى اللهجات المحلية، كما هو الشأن، في مراكش، بالنسبة للفظ باليبي "Pallebé" الدال في الإسبانية على بسكويت منطقة سافوا في فرنسا. بينما ظلت دواعي الانتقال إلى خارج الإطار الطائفي أقل فيما يخص بعض المواد اللغوية العبرانية المرتبطة بحقول ذات خصوصية يهودية.

وعلى الرغم من ذلك، عرفت بعض هذه المواد مسارات أكثر ديمومة تقريباً في الوسط الإسلامي؛ إذ استعمل بعضها على نطاق واسع؛ وظل تأثير بعضها الآخر حكراً على لهجة محلية دون أخرى، أو مقتصرًا على فئة عمرية معينة، بل وقفنا أحياناً على جماعة ضيقة من المتكلمين، علامة على التوادُّ والتقارب<sup>4</sup>. ففي مدينة آسفي، دعا المسلمون واليهود، على السواء، خلال سنوات 1920-1930،

زوج المبشرين من النصارى، العاملين في المدينة بالاسم بـ"بيقوروس" أو "السنيورا مراتو" Peqoros o "seniora mṛato" ؛ ( إذ أضحى اللفظ العبري بيقوروس أو أبيقوروس، الدال على المارق المرتد، بعد تشبعه باللفظ سنيورا الإسباني، مستعملاً في لهجات يهودية عدة، ومفيداً صيغة احترام).  
ويتضمن متننا حوالي عشرين لفظة وعبارة مأخوذة مباشرة من نصوص لهجية معتد بها. بعض

منها شفاف يتصل بالحياة اليهودية، وبعضها غامض الدلالة بالنسبة للمستعملين، أو هو في طريقه إلى ذلك، باعتبار أن الجيل الثاني من المسلمين فقد ذكرى وجود طائفة يهودية بالمغرب تقتلص أعداد أفرادها باستمرار. وليس من الواضح، أخيراً، ما إذا كان الأصل في بعض الألفاظ والعبارات الأخرى عبرانياً (افتراضاً). شفاف الدلالة من هذه الألفاظ ما يلي:

- حَزَّان: رجل دين، والمكلف بالذبح في الشرع اليهودي. وهو المصطلح الأكثر تداولاً بين المسلمين في تسميتهم للرَّبِّي كما كانت رتبته. ويمكن أن يرد لدى المسلمين الأكثر اتصالاً بالسكانة اليهودية اللفظان حَخام أو رَبِّي. وبالنسبة لأهل الريف، فإن رَبِّي إِرُومِيَّين هو القس، إنه حبر الروميين النصارى (خبر رواه حسين بوزينب).

[ملاحظة: حَزَّان: لفظ دال في لهجات يهود (تافيلالت ومراكش والموانئ الأطلسية) بالخصوص على معلم المدرسة التقليدية. ولا يعدو أن يكون في فاس ومكناس مجرد لقب. عبرية: חַזָּן القائم على القداس البيعي].

- مِعَارَه: يعني على وجه التحديد المقبرة اليهودية، في حين يطلق لفظ "الرُّوضا"، أو "مقابر"، على المقبرة الإسلامية. لنشر إلى أن مِعَارَه في العبرية، كنظيرتها العربية مَعَارَة، لا تعني سوى المغارة، أو الكهف. أما توسيع دلالتها لتشمل معنى المقبرة، فهو مغربي (لعل فيه إحالة على الاستعمال القديم "مِعَارَتُ هَامَحِبِلًا" أي ضريح الآباء في التوراة). وترد لفظة مِعَارَه لدى المسلمين دالة على الدعاء باللعنة والشر كما في العبارة "الله يَدِّيك لِمِعَارَه" أرسلك الله إلى مقابر اليهود؛ معلومة روتها لنا الأستاذة ربيعة حاتم من الدار البيضاء).

- حَنُوكَا: لفظ على غرار لفظ كَهَيْفَنُ الوارد أسفله. وهو متداول لدى تجار السقط، أو بائعي الخرداوات، وكذا لدى بائعي النفائس القديمة. والحنوكا: شمعدان زيت من تسع فتائل، يوقد في عيد يهودي يحمل الاسم نفسه. وشمعدانات المغرب البرونزية مفضلة لدى السياح. لنسجل أن الصيغة الباقية صيغة عاملة (اليهودية العربية: حَنُوكَا).

- كَيْفِنٌ: سمعت لدى الرواة الحكواتيين في فاس. وهي قدح، أو كأس معدني مُقَصَّص، يستعمل لدى اليهود في تبريك الخمر. والعبارة الكاملة هي كأس ديل كَيْفِنٌ ( דיל קיפין ) يدل في العبرية على الكرم التي ورد اسمها في تبريك فاكهة الكرم).

- أَبْرَاحَا: تفهم على وجه التقريب في طنجة بمعنى الصلاة اليهودية، (وتدل على التبريك في اليهودية).

- شومِرٌ: الحارس القائم على طبخ الشخينا يوم السبت في القرن التقليدي المطابق بناؤه للأوامر الشرعية ( ورد ذكره لدى W.Marcais في Textes arabes de Tanger، ص. 37- 180 ).

لقد تغيرت دلالة بعض الاصطلاحات الدينية حين عبرت من الاستعمال اليهودي منتقلة إلى الاستعمال الإسلامي. لنذكر من ذلك:

- حَمِصٌ: تطلق على كل منتج غذائي مُحَمَّر حرام استهلاكه أثناء عيد الفصح.. وقد جرى في الاستعمال الشعبي في المثل السائر: "أَعْمَلُ لِيهِ أَلْحَمِصُ" أي مَنَعَ شيئاً عن الآخرين؛ وقد تعني أنه احتفظ به لنفسه.

- كَاشِرٌ: طعام حلال وفق الشريعة الموسوية. وقد أضحي دالا بالنسبة للمسلمين على نوع من النقائق. وغدا غامض الأصل الدلالي لدى الجيل الناشئ.

- ويبقى الأصل في عبارة " طَاحُ لُ لَمَزَالُ "، أي "امرؤ سقط نجمه". بمعنى "انتهى أمره"، عبارة مشتقة من " مَزَالُ " اليهودية العربية ( قَدَرٌ وَحَظٌّ ) غامضا. وينطبق الأمر نفسه على عبارة اللعان اليهودية المستعملة اليوم بدرجة أقل ( في لهجة المسلمين بطنجة ): "يَكُونُ فَنَدُوْ أَوْلُكَلَابُ إِيْجَبْدُو"، "فليلعن ولتنهشه الكلاب". وهي عبارة تحيل على دعاء اللعان في اليهودية: " يكون فَنَدُوْ، لتسقط عليه اللعنة ( في العبرية: דָּוָה נְדָוִי: اللعنة).

يلزم أن نضيف لهذه العبارات ذات المفهوم التحقيري نظيرات أخرى لها أقل استعمالا في الحاضر، مثل hālāb : هَلَبٌ (وهو تحوير يهودي مغربي للفظ العبري كَلِبٌ، والآرامي كَلْبَا). واللفظ هَمِيوتُ الدال على القرع الطقوسي (W.Marcais، مصدر سابق، ص. 486)، وكذا اللفظ حَبُورا " فضيحة" (أورده G.S.Colin)؛ في العبرية: هَمِيوتُ הַיְיִת : طرق وقرع؛ وحَبُورا בְּבוּרָה جمهرة، عصابة.

ويمكن سماع العبارة: " آجي لِميت " في الدار البيضاء من دون استشعار عبرانيتها تقريبا. فهي (תגא) في العبرية، وتستعمل في التجارة، مفيدة للمعنى: تحدّثٌ بجدية، واقترح ثمنا معقولا؛ وهو المعنى نفسه المتداول لدى التجار اليهود).

### III- حالات إشكالية:

يعتبر البحث في الإيتيمولوجيا درسا أحادا؛ بيد أنه يبقى محفوا بالمخاطر. فالأصل العبراني للألفاظ الأربعة التالية لا يُكوّن فرضية محصورة بدقة، بقدر ما يشكل مسارا للبحث بوجه خاص. فالحالتان الأولى والثانية " صُط "، و" أتبز " تنتهي إلى جذور مستساغة في لغات مختلفة: العبرية والأمازيغية - وليست الحامية السامية هنا بمستعدة البتة - أضف إلى ذلك طريقا محتملة أخرى بالنسبة لـ " صُط ". أما الحالتان الأخيرتان: " كُون " و" دوع "، فهما يجيلان على صيغة لسانية ومسار عبور وعر؛ إنه " اللاشونية ".

اللاشونية: استخدم التجار والباعة المتجولون من اليهود، الذين كانوا يجوبون الأسواق إلى عهد قريب، "كلاما سريا مشفرا" أمام زبائنهم من المسلمين. إنه كلام مُعَمّى مصطلح عليه. وبالرغم من أنه بقي كلاما ضمن الإطار المورفولوجي والتركيبي للعربية المغربية، فإنه ظل يستحضر جذورا عبرانية مجهولة من قبل المحيط الإسلامي. وقد كان ذلك يولّد جملا من مثل: " حتّى إليخ أو ندبر لِح "؛ وهي جملة تعني حرفيا: حتى ينصرف (عبرية: لِح أي ينصرف) وأتحدث إليك (عبرية: دبر. بمعنى تكلم وتحدث؛ لِح : لك). ويصبح المعنى: " انتظر حتى ينصرف، وأشرح لك ". وقد كانت هذه الدارجة العبرية المنتحلة معروفة بأسماء متعددة تحت الاسم لَشُون (عبرية: لَشُون : لغة أو لسان)، لَشُونِيَّة، أَسْلَغُون (تافيلالت) وعرفت في الوسط الأمازيغي بـ " تَلْسُونت " أو " تَدْبُرْت " ( انظر أسفله دبر)، وفي الجزائر بالاسم "إيشورونية ( إيشرون: يهودي). وينطبق الأمر نفسه على بعض الألفاظ العبرانية التي سكت في قالب العربية المغربية، ولم يعد معناها خاف، بالدرجة نفسها، على المسلمين الذين انتهوا إلى استعمال بعضها في مقامات الهزء والسخرية (تَدْبُرْت). وليس من المبالغة في شيء افتراض أن بعض الألفاظ، خاصة تلك المستعملة منها في بعض الحقول، قد انتشرت في اللهجة العامة السائدة، بعد أن انقطع الحبل الموصول الذي يشدها إلى مصدرها الأصل.

أ-فرضيات متعددة: صُط: أحمق أبله: لفظ تقادم بعض الشئ في الاستعمال. وما زلنا نستطيع سماعه في الرباط. وقد ورد ذكره في معاجم Ferré et Harrell<sup>5</sup>.

وأن يكون اللفظ المتداول في اللهجات اليهودية هو נאָפּט (شُط) فهذا أمر لا شك فيه. فنحن نعلم أن Š | ش | تتحقق في معظم هذه اللهجات ب [s] المفخمة هنا [ʃ، ص] بتجاورها مع الطاء | t | بعد احتفاظها بـ | š | ، فقد تبث وروود " شوط " (في لهجة الجزائر العاصمة)<sup>6</sup>. وتظهر " صُط " في أمثال وعبارات عبرانية "مثل كُلُّ يبخورُ صوط"، كل بَكَر [أبيه] أبله، و" صُط لِكَمْرٍ مجنون بالتمام، و"صُط أو بَعْر " مضاعف الجنون.

وبالنسبة للهجات الإسلامية، لا نستطيع، إزاء لهجة مدينة الرباط، إزاحة فرضية الاقتراض من اللهجة اليهودية في هذه الحاضرة التي بقيت من دون ملاح إلى غاية عام 1808، أو فرضية الاقتراض من معتنقي الإسلام من سكان الـ " بَحيرا " ... غير أننا نستطيع أن نذكر اللفظ الإسباني " zote " الوارد في القرن XVII م.<sup>7</sup> ، والذي قد يكون الموريسكيون hornacheros قد نقلوه إلى هناك. ويرد اللفظ "مُصُط" بالمعنى ذاته في فاس (الوسط الإسلامي)، إلى جانب ورود " أمْسُطِي " في الاستعمال العام. وهو ما يميلنا على " أَصُطًا " و " إيسُطِي " أي حَنَّ المشتق من الجذر الأمازيغي القديم " أمْسُطُط ": أحمق الوارد ذكره في " التشوف "<sup>8</sup>. ونستطيع أن نلاحظ، على الأقل، في الوضع الراهن لمعارفنا أن اللفظ " صُط "، بمورفولوجيته المغربية، قد جعل لنفسه مكانا في حقل مهياً سلفا بواسطة الجذر | t | . | في "صُطًا" و "مصط"، بل أنه استطاع توليد مشتق هجين: " أمْصُوط ".

- " بَزَا "، " إيبز "، " احتَقَر " و " احتَقَر "، لفظ متداول في اللهجات اليهودية، بمعنى حجل، وانفضح أمره. وفي العبرية: بازا / إيبزي (בַּזָּ / בַּזָּ). بمعنى كره واحتقر، وذل، وهو لفظ متداول في اللهجات اليهودية. بمعنى كره واحتقر. فالصيغ الثنائية (בַּזָּ) أدل، و (הַחַבְזָּ) ذل قريبة من الصيغ المغربية. وتندعم هذه الفرضية بوجود ألفاظ عبرانية بنفس الجذور في بعض اللهجات اليهودية " بزيون " أي " احتقار " في اليهودية العربية بمكناس، و " بزوي " مُحْتَقَرٌ في اليهودية العربية بطنجة - تطوان<sup>9</sup>. و تُسمع الصيغة " أتبزا " في الدار البيضاء وسلا، وفي فضاءات أخرى بين المسلمين. فاللفظ دارج، ترجمه<sup>10</sup> Mercier بـ " انكشف "؛ وساق من مرادفاته " أَفْضَح " و " أَفْزَلَك " (اللفظ الأخير دارج مبتذل). ويبدو أن الصيغة المبتذلة - وهي غير منتشرة في الوسط اليهودي - قد تكون ناتجة عن التقارب الصوتي مع سلسلة من الكلمات ذات اللمحة إلى سلف قبلي (بَز) أي تبول في تَبَانه، في " أَفْزَلَك ". وهي

تنويعاً للفظ الأمازيغي " أبرلُكُ " ، صيغة الاستمرار: "أَبْرَلُكُ"<sup>11</sup> . كما تولد، فيما يبدو، من الجذر الأمازيغي " أَبْرَدُ " غير المفخم، لفظ آخر، قريب مما سبق على مستوى الصوت، إنه "أَبْرَدَا".

ب - انتقال عبر اللاشونية: "كَوْنٌ" : التزام الصمت، والسكون، التماوت، Ferré، مصدر سابق، ص.103. ولعله اشتقاق دلالي عبر اللاشونية من اللفظ العبري "קוֹן" ، "كَوْنٌ" انتوى، فكر، (انظر كَوْنَاهُ : تَفَكُّرُ الصوفي، نية القبالي). وهي فرضية أصدرها موشيه بار أشير(انظر الهامش رقم 3 أعلاه). ولا تقدم الجذور المجانسة صوتياً لـ ك.و.ن. في العربية أي تفسير شافٍ في الموضوع. و يبقى للتخمين هنا بعض الحظوظ، ماعدا إن استطعنا القول، انطلاقاً، من الجذر كون، وبحسب اقتراح السغروشي، بأنه مشتق من "كنا" أي: هداً في لهجة مدينة فاس (خطاطة مدغمة لـ || و و ||). بينما نجد في الريفية " خْنَا غي يَجْ-أورُكُ: بقي في ركنه (معلومة مفادة من ذ. الحسن بوزينب).

- "دَوَّعٌ" حَدَّقَ (بحسب Ferré، مصدر سابق، ص. 25) وارد تداولها في الاستعمال الشعبي، على الأقل، في الدار البيضاء.

وترد صيغة أخرى في فاس هي دِيعٌ، أبدل فيها || و و || ي ي ||. أما في لهجات يهود فاس ومكناس والرباط وسلا (وليس في لهجات مراكش وفاس والصويرة) فإن معنى "دَوَّعٌ" هو "نَظَرٌ خفية"، و"اختلس النظر". وهذا يدفع إلى التفكير في لفظ منحدر من اللاشونية، وفي جذر عبراني هو "دِعٌ" " 76 لا " بمعنى "علم ومعرفة". وهو لفظ مسكوك يرد وفق خطاطة فعل متعدي لمفعولين ( CiuwwəC2 ) "دَوَّعٌ". وفضلاً عن ذلك، يمكن أن تحيل الصيغة "دِيعٌ" على اللفظ العربي الكلاسيكي "ذاع" بمعنى انتشر .

#### IV - وضعية اللهجات وسبل الانتقال

إذا استثنينا العبارات والألفاظ العبرانية الخاصة بالحياة اليهودية، وما يتصل بها، فإن أغلب ما تم قبوله من العبرانية في الكلام لدى المسلمين يمتلك، تقريباً، مفهوماً تحقيرياً وانتقاصياً (هميوت: "قرع وصخب"، حبوراً "فضيحة"، طاح لو لمزال، "سقط نجمه" أو "انتهى أمره")، بل يمتلك معنى السب والشتم (هلاب "كلب"، "يكون فُتْدُو أو لُكْلَابٌ إِبْجِدُو"، لعنة ذات معنى غامض، ولكنها مفزعة بعض الشيء).

ويمكن أن تنتمي هذه الألفاظ إلى حقل ممتع ومسل، بل وذو نكهة: " آجِي لِمَيْتٌ"، و"أَعْمَلٌ لِيهِ أُلْحَمِصٌ" تركيب تعبيرى يأخذ فيه " حَمِصٌ " معنى المنع، ولكنه منع ليس ينطبق على



الجميع. أما " صُطِ "، " بَرَّ "، " كَوَّنَ "، " دَوَّعَ "، فرغم تأكيد الأصل العبري فيها فقد تم تبنيها لأسباب تعبيرية، أو بسبب التحديد الدلالي المميز الذي حملته..

إلى أي حد يشكل انتقال بعض هذه التعبيرات من اللهجة اليهودية إلى نظيرتها الإسلامية انعكاسا لعلاقات التعايش الألفية بين الطائفتين؟ يوطر قانون أهل الذمة، في المجتمع المغربي، العلاقات بين طائفة دينية مهيمنة وأقلية تحي تحت حماية المخزن، أو تحت السلطة القبلية. وهي وضعية كانت تحقق نظاما قارا، يمنح استقلالاً واسعاً في شأن تدبير الطوائف وإدارة شؤونها (نظام أرقى من الوضعية المهشمة التي عاشها اليهود في أوروبا النصرانية إلى غاية حلول زمن " حقوق الإنسان " التي لم تمنع حدوث المحرقة الهتلرية). وهي وضعية تركز، في الآن نفسه، دونية تراتبية بالنسبة للأقلية التي ظلت في أعين الجميع "خارج الحاضرة"، أو "خارج القبيلة" - على الرغم من إسناد الوظائف العليا للأفراد منها.

لقد كان ينتج عن هذه الوضعية، على المستوى العملي، تجاور للمجتمعين، وتخصص اقتصادي نسبي؛ إذ ظلت الطوائف اليهودية، بأعدادها الكبرى في المدن والبلدات، تتمتع باستقلال ذاتي -إداري، محوره الشأن الديني والثقافي، والمؤسسات الدينية والقانونية وكذا المؤسسات الإحسانية الخيرية، سواء في الأحياء، (أو في القصور) التي سكنتها هذه الطوائف، أو حتى في الفضاءات التي لم يكن بها ملاح حقيقي كما هو الشأن في طنجة والدار البيضاء، والجديدة، وآسفي الخ...

وشكلت الأسواق والتجارة، وأحيانا العمل الحر في المشترك، أو فضاءات ممارسة مهنة كمالية، نقط الاتصال والتبادل بين أعضاء الطائفتين، اتصال وتبادل تحققا في هذه النقاط بدرجة أكبر، بالمقارنة مع الاتصال الذي كان يتم على مستوى السكن. وعلى العكس من ذلك، لم تكن علاقات الجوار بالنادرة في مدن مثل الدار البيضاء، وآسفي، أو في بعض البوادي. فقد كانت هذه الاتصالات اللغوية إذن حقيقة واقعة؛ بيد أنها بقيت مؤطرة داخل حدود الشغل، أو التبادل التجاري، وفي العلاقات مع الإدارة (القليلة التطور آنذاك)، أو مع شرائح اجتماعية عاملة - وأحيانا مقيمة- في الملاح، أو في محيطه، وفي الغالب داخل أحياء مختلطة (عمال الأفران التقليدية: طارحة، وتجار الخضار، والحمالين، وزبناء المقاهي، وفي " تَبْرْنَا " حيث كان يباع ماء الحياة(ماحيا). وفي المقابل، وجد يهود (صيارفة وكلاء تجاريون، وبعض الحرفيين من مثل المضاربية الذين كانوا يدخلون بيوت زبنائهم الخ..). يشتغلون في المدينة.

وقد انعكست العلاقة السوسولوجية بين الطائفتين، الأكثرية والأقلية، في موقف كل منهما تجاه الأخرى. فاليهود الذين احتفظوا بكل الحب للغة التوراة المقدسة (لشون هقودش) اعتبروا أن لغة

المسلمين لغة تميز، واللغة الأشد قربا من اللغة الكلاسيكية. أما المسلمون فقد اعتبروا الكلام اليهودي تنويعا مسلية. وهم إلى ذلك لم يكونوا يدركون سوى التزر اليسير منه. فعلى مستوى المحاكاة الساخرة يفترض في اليهود نطق الشين سينا، في حين كان النطق اللاحن (إبدال الجيم زايا) المعاكس هو الطابع المميز<sup>12</sup>.

قليلًا ما يقترض من كلام من دون حظوة وجاذبية؛ وهذا صحيح، ويمكن فحص ذلك، والتأكد منه في هذه الحالة الملموسة. وعلى الرغم من ذلك، توجد سبل ومسارات أخرى للاقتراض، يستعيد عبرها المستوى الشعبي واللهجي كامل حقوقه (فنحن نعلم إسهام الدارحة في اللغة الفرنسية على سبيل المثال). إنه يمنح، بالتأكيد، عبارات السباب والشتائم واللعنات. ولا يقتصر الأمر على ذلك، فالتون اللغوية "الدنيا" تمنح أيضا ألفاظا وعبارات بليغة، وتحديدات مدققة، وطعم صور مسلية تستطيع تطوير وتسلق الترابية اللسانية. وتحصل بذلك على كثافة معتمة وغير نافذة على مستوى الأصل الدلالي تؤسس لها داخل الكتلة المعجمية. وهي عملية يمكن أن تحدث بسرعة. فقد ظهرت نقانق الـ "كاشير" المصنعة في سنوات الخمسينيات، باعتبارها طعاما حلالا بالنسبة للمسلمين؛ وتطور استهلاكها مع انتشار حضارة السندويتش. ثم ضاع الاسم saucisson نقانق، لتحل محله صفته "كاشير" بعد أن فقد معناه العبري الدال على طعام حلال بالنسبة لليهود. وقد أضحي دالا على المورتديلا الحمراء التي لم يعد الحلال فيها مضمونا بالنسبة لليهود. وعلى هذا النحو، تغير معنى اللفظ، فبمجرد تمثل الموروث، تم نسيان سلفه في أقل من أربعين سنة.

« De quelques hébraïsmes en arabe marocain et de leurs voix de passage », Simon LEVY , \* -

Faculté des lettres – Rabat

نشر المقال المترجم ضمن أعمال : " مجالات لغوية: الكليات والوسائط " ، أعمال مهداة إلى الأستاذ إدريس السغروشني، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط 1994.

« Approches linguistiques, Universaux et Paramètres », Hommage au Pr. Driss Seghrouchni .  
Publication de la Faculté des Lettres et des Sciences Humains- Université Mohammed V- Rabat  
1994, P.27-35.

\*\* كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر - أكادير

<sup>1</sup> - انظر حول هذه المعطيات :

David Cohen et Haïm Zafrani : « Grammaire de l'hébreu vivant », PUF , Paris 1968, P. 1-16.

<sup>2</sup> - بحث شخصي ميداني يتعلق بفاس وتافيلالت، ومصدر الأرقام المصنفة، أعلاه، البحث الذي أجراه موشيه بار آشير، الوارد في مقاله باللسان العبري: "حول عناصر عبرية في عربية الحديث لدى يهود المغرب"، مجلة لشونينو، الجزء XLII ، رقم 3-4، 1978، ص.163-189.

<sup>3</sup> - نحيل، بخصوص دراسة أكثر تفصيلا لهذه المقترضات العبرانية، على أطروحتنا:

« Parlers arabes des juifs du Maroc : particularités et emprunts- (Histoire socio - linguistique et géographie dialectale), Paris VIII, 1990.

ونحيل فيها، على وجه الخصوص، على المجلد الرابع، من الصفحة: 789 إلى الصفحة 848، وكذا على المداخل المطابقة في متن المعجم (المجلد الخامس والسادس) حيث عولجت هذه المقترضات العبرانية دلاليا وإيتيمولوجيا الخ..

<sup>4</sup> - يشير اللفظ tippa إلى "المشروب الكحولي" في بعض الأوساط بالدار البيضاء. ويدل في العبرية على معنى "قطرة". ويمكن أن يحيل على قطرة ماء الحياة "ماحيا" التي تصب أثناء عملية التقطير من الإنبيق.

<sup>5</sup> - Ferré Daniel : « Lexique marocain – français », Imprimerie de Fédala, s.d ; Harrel Richard Slade : « A Dictionary of Moroccan Arabic », Georgetown University, 1966.

6 -Cohen Marcel : « Le parler arabe des juifs d'Alger », Paris 1912.

Gredos (Madrid, J.Y.P. « Diccionrio critico etimologico castellano hispanico », 7-Corominas P.865) . IV, ; 1976

وعلى الرغم من إقرار جمهور المؤلفين بالأصل العبراني للفظ shcote في الألمانية الدارحة، فإنهم ينكبون على البحث في سلسلة من "التكوينات التعبيرية" التي من المحتمل أن يكون قد تولد منها في اللغات الرومانية زوط zote في البرتغالية والإسبانية، وسو sot و zut في الفرنسية، و zot في التوسكانية، و ciot في الرومانية ...

8 -انظر التادلي : "التشوف لرجال التصوف"، تحقيق أحمد توفيق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- الرباط، 1984، ص.432.

<sup>9</sup> - « Dialecto judéo-hispano-marroqui o Hakitia », Madrid Bénliel José: 1977, P.179.

<sup>10</sup> -Mercier Henry : « Dictionnaire français-arabe» , Rabat 1954, P.84.

» Rabat 1934, P.57-58. Jordan Antoine : « Dictionnaire berbère – français11-

12- يمكن أن يكون الأمر ناتجا عن المحاولات غير الصائبة لبعض اليهود تصحيح نطقهم بحضور المسلمين فيقعون في

تصحيح مضاعف .